الفنون الإسلامية فى العصر الأيوبى

الجزء الأول

(التحف المعدنية)

دكتور/ عبدالعزيز صلاح سالم

مركز الكتاب للنشر

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٩٩٩

مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة

ت: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس - المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

إهـداء

إلـى أبـى وأمـى

حـباً وتـقـديـراً

المؤلف

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المحتويات	٥
تقديم	٧
الحدود الجغرافية وأشهر سلاطين بنى أيوب إنتاجاً للتحف المعدنية	١٣
الفصل الأول	٢١-٧٦
طرق تشكيل وأساليب زخرفة وأشكال التحف المعدنية	
أولاً : طرق التشكيل وأساليب زخرفة المعادن	٢٤
ثانياً : أشكال التحف المعدنية الأيوبية	٤٣
ثالثاً : طوائف الصنّاع ومراكز صناعاتهم	٥٤
الفصل الثانى	٧٧-١٢٨
التحف المعدنية الموصلية المعاصرة للدولة الأيوبية	
أولاً : الموصل	٧٩
ثانياً : التحف المعدنية الموصلية	٨٥
ثالثاً : أهم الصناع الموصلة	١٢٤
الفصل الثالث	١٢٩-٢٢٥
أهم التحف المعدنية الأيوبية	
أولاً : تحف معدنية باسم صلاح الدين الأيوبى	١٣١
ثانياً : تحف معدنية باسم خلفاء صلاح الدين الأيوبى	١٤٠
ثالثاً : تحف معدنية بأسماء الصنّاع وتوقيعاتهم	١٧٧

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع	٢٢٧-٢٨٨
العناصر الزخرفية والمناظر التصويرية على التحف المعدنية الأيوبية	
أولاً : الكتابات على المعادن الأيوبية	٢٢٩
ثانياً : الزخارف النباتية	٢٣٧
ثالثاً : المناظر التصويرية	٢٤٧
- ملاحق الكتاب	٢٨٩
- مصادر ومراجع الكتاب	٣١٦
- اللوحات والأشكال	

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾ (الواقعة: ١٧، ١٨)

صدق الله العظيم

حمداً لله وصلاة وسلاماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحابته ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. ثم أما بعد..

تعد دراسة «الفنون الإسلامية فى العصر الأيوبى» (٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١ - ١٢٥٠م) دراسة أثرية وفنية على جانب كبير من الأهمية ذلك أن الأبحاث الأثرية السابقة لم تعط هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة والتحليل ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى صعوبة الحصول على المادة العلمية نظراً لقلتها بالإضافة إلى تناثر التحف الأيوبية بين المتاحف العالمية.

وقد اقتضى هذا البحث دراسة واسعة ومستفيضة فى ميدانين تلازما كل منهما تلازم وجهى العملة أحدهما أكاديمى والآخر تطبيقى، وقد تطلب الميدان الأكاديمى الاطلاع على المصادر والكتابات التى تناولت العصر الأيوبى بصفة عامة والفن المعدنى بصفة خاصة.

أما الميدان التطبيقى فقد اقتضى فحص ودراسة التحف الأيوبية التى استطعت الوصول إليها دراسة تطبيقية خصوصاً مجموعات متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، ومتحفى اللوفر والفنون الزخرفية بباريس بالإضافة إلى مجموعتى متحف معهد العالم العربى ومتحف المكتبة الوطنية بباريس فى مدة وجودى

بالبعثة فى فرنسا، كما انتقلت إلى لندن فى مهمة علمية استطعت فيها فحص ودراسة التحف الأيوبية المحفوظة فى كل من المتحف البريطانى ومتحف فيكتوريا وألبرت بالإضافة إلى أننى استفدت كثيراً من مكتبات باريس ولندن من خلال محاولتى الاطلاع على معظم المراجع التى تناولت الموضوع ويتضح هذا جلياً فى ثبت المصادر والمراجع العربية والأجنبية بالبحث.

وأرى أن أبدأ دراسة الفنون الإسلامية فى العصر الأيوبى بفحص التحف المعدنية الأيوبية التى أفردت لها جزءاً كاملاً لما تمثله من قيمة كبيرة وأهمية بالغة فى التعرف على ملامح وسمات الفن الإسلامى فى ذلك العصر بالإضافة إلى أننى أعددت رسالتى للدكتوراه فى دراسة «المعادن الأيوبية فى مصر والشام» دراسة أثرية وفنية، فى كلية الآثار - جامعة القاهرة وبإشراف مشترك مع جامعة السربون بباريس.

والحق أن الفن الأيوبى بصفة عامة وفن صناعة التحف المعدنية بصفة خاصة قد استفادا فى جانب كبير منهما بالتراث الفنى للفاطميين الذين حكموا البلاد أكثر من مائتى عام وكذلك بتراث الأتراك السلاجقة وما ورثه الصنّاع المواصلة الذين قدموا إلى دمشق والقاهرة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين.

كما استطاع الفن المعدنى الأيوبى أن يبرز بروزاً قوياً فى طرق تشكيل وأساليب زخرفة التحف المعدنية ولعل هذا ظهر جلياً فى فن تكفيت التحف المعدنية الذى نضج نضوجاً واضحاً فى هذا العصر، وبصفة خاصة أسلوب التكفيت بالذهب والفضة الذى وصل إلى مصر والشام نتيجة هجرة الصناع المواصلة، وسرعان ما اختلطوا بصناع البلاد التى هاجروا إليها واستقروا بها. فعلى سبيل المثال لا الحصر فى القاهرة اندمج الصنّاع الوافدون بزملائهم المصريين الذين ما لبثوا أن تعلموا هذا الأسلوب الفنى الجديد وأجادوه، كما تشهد بذلك التحف المعدنية القاهرية المكفتة بالذهب والفضة والمحفوظة فى كثير من المتاحف العالمية.

فى نفس الوقت شهد العصر الأيوبى رواجاً لبعض المراكز الصناعية والفنية التى قامت عليها التجمعات الحضرية حيث كانت عامل جذب كبير للسكان، فكان يحضر إليها الصنّاع والعمال والحرفيون من كل صوب، كما لعبت هذه المراكز دوراً هاماً فى اتصال الصنّاع بعضهم ببعض مما أثر بصفة عامة على الأساليب الفنية والصناعية، ولعل أشهر تلك المراكز هى: دمشق، حلب، الفسطاط والقاهرة، وأسعرد، ومكة.

وعلى الرغم من الحروب التى شغلت القاهرة ودمشق فى العصر الأيوبى فإن عجلة الإنتاج الصناعى والفنى لم تتوقف، فقد أمدتنا القاهرة ودمشق بالعديد من التحف المعدنية التى تدل على استمرار التطور فى الصناعات المعدنية من حيث تنوع أشكالها ودقة صناعاتها وكثرة زخارفها التى بدأت فى هذا العصر تنفذ بطرق جديدة لم تظهر من قبل.

ولم تكن الحروب الصليبية مجرد معارك دموية متصلة الحلقات بين المسلمين والصليبيين ولكنها كانت مجالاً واسعاً التقى فيه الشرق الإسلامى بالغرب المسيحى ولم يكن اللقاء حربياً فحسب بل كان لقاءً حضارياً على أوسع نطاق حيث ترتب على الحركة الصليبية خلق وضع حضارى جديد فى بلاد الشام انعكس أثره على المنتجات المعدنية وزخارفها بحيث مهد الطريق لظهور مناظر مسيحية على التحف المعدنية الأيوبية تتفق مع عقيدة المسلمين عن السيد المسيح وعن الديانة المسيحية كما جاء فى القرآن الكريم بالإضافة إلى حرص السلاطين الأيوبيين على تسجيل أسمائهم وألقابهم عليها.

ويتألف هذا الجزء من مقدمة وأربعة فصول، بالإضافة إلى ملاحق البحث المختلفة ثم قائمة المصادر المخطوطة والمنشورة، والمراجع العربية والأجنبية، وبيان ذلك على النحو التالى:

المقدمة:

تناولت فيها الحديث عن الحدود الجغرافية وأشهر سلاطين بنى أيوب فى مصر وبلاد الشام إنتاجاً للتحف المعدنية.

الفصل الأول:

تناولت فيه طرق تشكيل التحف المعدنية بصفة عامة والتحف المعدنية الأيوبية بصفة خاصة وأساليب زخرفتها وأشكالها خلال العصر الأيوبى وكذلك التعرض إلى طوائف الصنّاع ومراكز صناعتهم.

الفصل الثانى:

تناولت فيه التحف المعدنية الموصلية المعاصرة للتحف المعدنية الأيوبية فى مصر والشام من خلال دراسة أثرية فنية. وكان من الطبيعى التعرض لمدينة الموصل والصنّاع المواصلة الذين تفوقوا فى إنتاج التحف المعدنية ثم دراسة أشهر أعمالهم وذلك لبيان أثرها على التحف المعدنية الأيوبية.

الفصل الثالث:

تناولت فيه أهم التحف المعدنية الأيوبية حيث قمت بتقسيمه إلى تحف خاصة بالملك السلطان صلاح الدين الأيوبى وتحف بأسماء خلفائه ثم التحف الموقعة من قبل الصنّاع الذين عملوا فى بلاط بنى أيوب وظلوا محتفظين بتقاليدهم الفنية والزخرفية.

الفصل الرابع:

تناولت فيه دراسة العناصر الزخرفية والمناظر التصويرية على التحف المعدنية الأيوبية فتناولت تلك العناصر متتبعاً ظهورها على التحف المعدنية فى العصر الأيوبى.

ثم ذيلت الكتاب بمجموعة من الملاحق المختلفة وقائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية التى اعتمد عليها الكتاب ثم اللوحات والأشكال الموضحة للمتن.

ولا يسعنى إلا أن أتوجه بخالص شكرى وعظيم امتنانى إلى كل هؤلاء الذين جعلهم الله سبباً فى أن يظهر هذا العمل على صورته هذه.

وأجد لزاماً علىّ أن يتصدر الكتاب أسمى كلمات الشكر والعرفان إلى أساتذتى الأفاضل:

أ.د. صلاح الدين البحيرى، MME. LE PROF. MARIANNE BARRUCAND على ما بذلاه معى من جهد فائق، وما قدماه لى من عون صادق، فقد كانت توجيهاتهما السديدة ومساعدتهما القيمة نبراساً أضاء لى الطريق طوال فترة الإعداد.

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى :

أ.د. أحمد عبدالرازق، أ.د. مصطفى عبدالله شيحه، أ.د. حسنى نويصر على ما قدموه لى من إرشادات وما بذلوه معى من جهد فى قراءة البحث وفحصه. فجزاهم الله عنى وعن العلم خير الجزاء.

ولا يفوتنى فى هذا المجال أن أتقدم بجزيل شكرى وأسمى تقديرى إلى كل من مد يد العون والمساعدة فى إعداد بحثى ولاسيما السادة أمناء متحف اللوفر وأخص بالذكر السيدة رئيسة قسم الآثار الإسلامية بالمتحف (Mme, Marthe Bernus Taylor)، . والسيدة: (Dominique Benazeth) أمينة بقسم الآثار القبطية والآنسة: (Sophie Makriou) أمينة المعادن بالقسم الإسلامى بمتحف اللوفر، والسيد (Jean Luc Bovot) بالقسم المصرى بمتحف اللوفر بباريس على مساعدتهم القيمة لى خلال وجودى بالمتحف.

والسادة أمناء متحفى اللوفر والفنون الزخرفية ومتحف معهد العالم العربى ومتحف المكتبة الوطنية والسادة أمناء مكتبة السربون وغيرها من المكتبات التى ترددت عليها خلال فترة دراستى فى باريس.

كما لا يفوتنى أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الصديق الدكتور/ (Jean Michel Mouton) والسيد (Olivier Jaubert) على معاونتهما الصادقة لى خلال إقامتى فى باريس.

وأتقدم بخالص شكرى وتقديرى إلى:

أ.د/ عثمان لطفى السيد، المستشار الثقافى المصرى الأسبق فى باريس، أ.د/ فتحى صالح، المستشار الثقافى السابق على مساعدتهما القيمة.

كما أخص بالشكر والتقدير الدكتورة/ (Rachel Ward) أمينة قسم المعادن بالمتحف البريطانى بلندن على المساعدات الصادقة التى قدمتها لى خلال وجودى بالمتحف البريطانى بلندن، والدكتور/ (James W. Allan) بجامعة أكسفورد على حسن تعاونه معى.

والسادة أمناء مكتبة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة وأخص بالذكر (M. Le Prof. GRIMAL) مدير المعهد.

والسادة أمناء المتحف الإسلامى بالقاهرة وأخص منهم الأستاذ: السيد فتحى أمين المعادن، والسادة أمناء المكتبات التى ترددت عليها بالقاهرة والسادة أعضاء هيئة التدريس بالكلية وإلى جميع الزملاء وإلى كل من مد يد العون والمساعدة فجزاهم الله عنى وعن العلم خير الجزاء.

وعلى الله قصد السبيل، ، ،

دكتور/ عبدالعزيز صلاح سالم

مدرس الآثار والفنون الإسلامية بكلية الآثار - جامعة القاهرة

القاهرة ١٩٩٨م

الحدود الجغرافية وأشهر سلاطين بنى أيوب إنتاجاً للتحف المعدنية

لقد ترتب على الحركة الصليبية التى دهمت المشرق الإسلامى فى أواخر القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى نتائج بعيدة المدى فى تاريخ الشرق والغرب جميعا، ولعل أهم هذه التغييرات ماطرأ على الخريطة السياسية لبلاد الشام ومصر من تبديل وتغيير بعد أن قضى الصليبيون على كثير من الأتابكيات والإمارات الصغرى التى كانت قائمة فى بلاد الشام من جهة وبعد قيام الدولة الأيوبية (٥٦٧ ـ ٦٤٨ هـ / ١١٧١ ـ ١٢٥٠م) من جهة أخرى. كما نتج عن الحملات الصليبية ازدياد حركة السفر بين أوروبا والأراضى المقدسة[١]. والحق أن الدولة الأيوبية اشتقت معظم رحيقها مما كان معمولا به فى الدولة السلجوقية[٢].

وقد وجهت الدولة الأيوبية كل قوتها إلى النواحى الحربية حيث كان هناك صراع دائم بينها وبين الصليبيين فى الشام ،وعلى الرغم من ضراوة القتال الذى دار فى هذه الفترة إلا أن ذلك لم يمنع الاتصال الحضارى بين الصليبيين والمسلمين ذلك الاتصال الذى كان له أثره الواضح على عمارة وفنون الشرق والغرب معا[٣].

ومنذ استقرار صلاح الدين الأيوبى فى مصر بدأت القاعدة تعود اليها حيث نجح فى إعادة تجميع نواحى الدولة بعد وفاة نور الدين وتمكنه من التغلب على كل

---

(١) راجع: صلاح الدين البحيرى، المخابرات الإسلامية فى مواجهة الصليبيين، مجلة كلية الآثار، العدد الثالث، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٣٨، سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام، دار النهضة، ١٩٩٠م، ص٩.

(٢) السلاجقة: قبائل من التركمان الرحل، قدموا من إقليم القوغيز فى آسيا الوسطى، واستقروا فى الهضبة الإيرانية، وكان السلاجقة أتباع المذهب السنى، وأتيح لهم منذ القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى الاستيلاء على السلطان فى الشرق الأدنى، ولكن امبراطوريتهم الواسعة لم تلبث أن تمزقت وآل حكمها إلى أسر صغيرة أسسها بعض أفراد أسرتهم أو كبار قوادهم الأتابكة ثم قضى عليها المغول فى القرن ٧هـ/ ١٣م. راجع: زكى حسن، الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، القاهرة، ١٩٤٦م، ص١٩، الراوندى، راحة الصدور وآية الصدور، دار القلم، ١٩٦٠م، ص ١٤٥-١٤٨.

(٣) راجع: حسنى نويصر، العمارة الإسلامية فى مصر عصر الأيوبيين والمماليك، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١.

منافسيه فى السلطنة حتى أصبحت دولة مصر والشام حقيقة واضحة ووحدة تاريخية قائمة بذاتها حتى أصبح من العسير التأريخ لمصر وحدها أو الشام وحدها أو بلاد الجزيرة وحدها خلال العصر الأيوبى كله ، بل إن مساحة دولة مصر والشام أصبحت منذ ذلك الحين سلطنة واحدة تتسع مساحتها حتى امتدت من بلاد النوبة ودنقلة فى اقصى حدود مصر الجنوبية حتى بدأ صلاح الدين[١] فى ضم دمشق فى سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤م ، ومن دمشق دخل حمص ثم حماة فى نفس العام وبعد ذلك دخل حلب ٥٧٢ هـ / ابريل ١١٧٦م ،وأصبح سلطانا على مصر والشام، وعقب استيلاء صلاح الدين على بيت المقدس سقطت فى يده كل موانى الشام. وبذلك امتدت حدود الدولة الأيوبية إلى اقصى اتساعاتها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا[٢]. (لوحة ١).

ولقد عنى صلاح الدين عناية فائقة بتحصين عاصمة مصر وموانيها وثغورها حتى يأمن من الصليبيين ، كما كان اهتمامه بذلك الأمر عظيما فى بلاد الشام حيث أكثر من بناء الحصون فى المواقع الاستيراتيجية فى تلك البلاد وعلى عهده أنتجت بعض الأوانى النحاسية التى كانت تستعمل فى شفاء الأمراض والتى تعرف (طاسة الخضة)[٣].

---

(١) هو السلطان الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدين يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان. راجع: ابن شداد، فى سيرة صلاح الدين الأيوبى النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، حققه محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٢٥-٧٥، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد، ج٦، ص ٤-٦١، سعيد عاشور، الأيوبيون، ص ٢٠.

(٢) حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٣٠٩-٣١٠.

(٣) يرجع إطلاق اسم «طاسة الخضة» إلى أنها كانت فى الأصل تستعمل فى شفاء المريض الذى أصيب بهزة عصبية لسبب من الأسباب ثم أصبحت بتوالى الزمن تستعمل لشفاء الأمراض جميعاً ما عدا الموت كما يعتقد فيها، راجع: Zaky Pacha, Coupe magique dédiée à Salah ad-Din , *BIE*, Le Caire, X, 1916, p. 243 عبدالعزيز مرزوق، الفن الإسلامى فى العصر الأيوبى، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة. ١٩٦٣م، ص ٥٣، حسنى محمد نويصر، الطأس السحرية (طاسة الخضة) وما عليها من كتابات وما تشفيه من أمراض، مجلة كلية الآثار، العدد السادس. ١٩٩٥م، ص ٥١.

وعندما توفى صلاح الدين الأيوبى ٥٨٩هـ ١١٩٣ م ، ترك خلفه دولة مترامية الاطراف وفراغا ضخما لم يستطع احد من ابنائه السبعة عشر أو اخوته أو ابناء اخوته ان يملأه[١] .

والواقع ان تاريخ الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين أصبح سلسلة متصلة الحلقات من الصراع بين افراد اسرته الطامعين فى الوصول إلى العرش والاستئثار بالحكم فقد تولى السلطنة بعده ابنه الملك العزيز عثمان وقد كان عندئذ فى الثانية والعشرين من عمره ،وقد حكم ما يقرب من خمس سنوات ثم لقى مصرعه وهو خارج للصيد فى سنة ٥٩٥ هـ/ ١١٩٨م ، و خلفه المنصور ناصرالدين محمد الذى لم تزد مدة حكمه عن بضعة شهور لم يترك لنا وراءه فيها شئ يذكر به ثم خلفه السلطان العادل سيف الدين أبو بكر ٥٩٦ هـ ١١٩٩ م اخوصلاح الدين الأيوبى ، كما لم تكن عناية السلطان الكامل محمد ٦١٥ هـ/١٢١٨م أقل من عناية والده السلطان العادل الذى منح أهالى مدينة بيزا الايطالية نفس الامتيازات التى كانت ممنوحة من والده لأهالى مدينة البندقية ، كما سمح لهم بإقامة قنصل خاص بهم بالاسكندرية يتولى شئونهم ، ويعتبر الملك الكامل أعظم شخصية فى اسرة بنى أيوب بعد صلاح الدين ، فقد قضى معظم حياته منصرفا إلى القتال ضد الصليبيين و اتخذ لنفسه معسكرا فى موضع يقع على النيل عند التقائه بالبحر كما شيد به عدة مبان كانت النواة الاولى لمدينة المنصورة[٢] .

ومن أهم التحف المعدنية التى انتجت فى عصر الكامل شمعدان من النحاس المكفت بالفضة مؤرخ فى سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م[٣] تظهر عليه العديد من الزخارف الفنية الإسلامية من زخرفة نباتية دقيقة ارابيسك ومناظر آدمية وحيوانية

---

(١) راجع: ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٢٢٦، المقريزى، السلوك، ج١، ق١، ص ١٤١، وفاء محمد على، دراسات فى تاريخ الدولة الأيوبية، دار الفكر العربى، ١٩٨٩، ص ٩.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص ٣-٩، ج٤، ص ٣٣، ابن تغرى بردى، النجوم، ج٦، ص ٢٢٧.

(٣) محفوظة فى متحف الفنون الجميلة ببوسطن، راجع:

RiceD.S., The Oldest Dated (Mosul) Candlestick A.D. 1225, *The Bur. Mag.* 1949, p. 336.

وكذلك وصل من عصره إبريق من النحاس المكفت بالفضة يحمل توقيع صانعه عمر بن الحاج جلدك غلام أحمد الذكى النقاش مؤرخ فى سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م[١] يزدان سطحه بزخارف عديدة ومتنوعة وسوف نقوم بدراسته عند الحديث عن التحف المعدنية الأيوبية فى مصر وبلاد الشام . ثم توفى السلطان الكامل محمد سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨ م ، وخلفه ابنه وولى عهده الملك العادل أبو بكر بن السلطان الكامل محمد[٢].

وقد وصل ايضا من عصره ثلاث تحف من النحاس المكفت بالفضة وهى طست عليه توقيع «أحمد بن عمر المعروف بالذكى النقاش»[٣]، كما نقش عليه عبارة تفيد مكان صناعته فى «الطست خاناة العادلية»[٤] وقد وردت نفس العبارة على علبة اسطوانية ذات غطاء نقش عليه بخط النسخ اسمه وألقابه[٥].

---

(١) محفوظة فى متحف المتروبوليتان رقم ٩١-١-٥٨٦. راجع :

Rice D.S., Inlaid Brasses from the Workshop of Ahamed al-Daki al-Mousili

, *Ars Orientalis*, II, 1957, pp. 317-318.

(٢) هو السلطان الملك العادل أبو بكر السلطان الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبى بكر بن الأمير نجم الدين أيوب الأيوبى. راجع ابن تغرى بردى. النجوم. ج٦، ص ٢٠٣.، المقريزى، الخطط، ج٢، ٢٣٦.

(٣) محفوظة بمتحف اللوفر بباريس، رقم ٥٩٩١.، راجع :

Migeon G., Manuel d'art Musulman, Paris, 1927, p. 51.

(٤) الطست خاناة العادلية: الطشتخانة: هى المكان الذى يوضع فيه ملابس السلطان (الملك المؤيد المظفر المنصور سيف الدنيا والدين أبى بكر بن السلطان الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب) وفيها يوضع ما يجلس عليه السلطان من مقاعد وفخار وسجاد، وكذلك «طشتدار» اسم وظيفة يتألف من لفظة طشت المحرفة عن «طست» العربية، ومن لفظة «دار»، والمعنى ممسك الطست أو الموكل بالطست كما كان «الطشتدار» هو الذى يتولى صب الماء على يد مخدومه وقد عرفت هذه الوظيفة فى الدولة العباسية، وفى الدول التى تفرعت منها، فعرفت مثلاً فى الدولة الغزنوية، وممن شغلها فى العصر الغزنوى أحمد طشتدار الذى كان من خاصة المقربين «للسلطان مسعود» ثم انتقلت من الدولة الغزنوية إلى دول السلاجقة، وبعدها إلى الدولة الأيوبية، راجع: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج٢ دار النهضة العربية، ١٩٦٥، ص، ٧٤١-٢٤٢...

Rice, the oldest, pp. 339., inlaid, p. 317-338.

(٥) محفوظة فى متحف فكتوريا وآلبرت بلندن رقم : ١٨٦٣/ ٨٥٠٨. راجع:

Wiet G., Répretoire chronologique d'épigraphie Arabe, XI, 1941-1942, p. 110

أما التحفة الثالثة فهى مبخرة من النحاس المكفت بالفضة ، وبدن المبخرة يزدان بثلاث أشرطة أوسعها أوسطها ، والشريط العلوى منها يحمل نص تاريخى بخط النسخ باسم السلطان العادل أبو بكر[١]. ولقد ساءت أحوال الدولة الأيوبية فى اواخر حكم العادل الثانى، وتآمر عليه الأمراء وزجوه فى السجن ثم نادوا بأخيه الصالح نجم الدين أيوب سلطانا عليهم ،ودخل الملك الصالح أيوب دمشق فى جمادى الاخرة سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٩م [٢].

ومن روائع التحف المعدنية التى تحمل اسم السلطان الصالح أيوب ثلاثة طسوت الاول من النحاس المكفت بالفضة يزدان داخله بجامات فيها مناظر موسيقين ،ومناظر تمثل لعبة الكرة والصولجان (البولو)[٣]. كما يحمل كتابة بخط النسخ تسجل اسماء وألقاب الملك الصالح نجم الدين أيوب[٤].

والطست الثانى يتمتع بشهرة واسعة بين التحف المعدنية[٥]، وهو غنى

---

(١) محفوظة بمجموعة خاصة [مجموعة شريف صبرى] بالقاهرة. راجع:

Fehérvari G., Ein Ayyùbidisches Räuchergefäss mit dem namen des Sultan al-Malik al-Adil II, *Kunst des Orients VI*, Wiesbaden, 1968, pp. 37-54.

(٢) راجع: ابن تغرى بردى، النجوم.، ج٦، ص ٣١٩، المقريزى، الخطط.، ج٢، ص ٢٣٦.، سعيد عاشور، الأيوبيون.، ص ١١٥-١٢٠.

(٣) لعبة البولو: احتلت لعبة الكرة والصولجان (البولو) مكانة كبيرة على فترات العصور المختلفة لدرجة أن السلاطين كانوا يقدرونها تقديراً سامياً وأنشأوا لها وظيفة خاصة كان يسمى صاحبها حامل الصولجان فى البلاط ـ حيث كان من عادة السلاطين إذا خرجوا للعب الكرة أخذوا معهم شخص يقوم بأعمال لعبة الكرة والصولجان وكان يسمى «الجوكندار»، كما كان يتخذ شعاره عصوان البولو والكرة الذى يلعب بهما السلطان الكرة. ولقد كان اهتمام سلاطين دولة بنى أيوب عظيماً حيث شيدوا الميادين الخاصة بممارسة الألعاب الرياضية وبصفة خاصة لعبة الكرة والصولجان. راجع:

Mercier L., La chasse et les sports chez les Arabes, Paris, 1927, p. 223.; Abd Ar-Raziq, Deux jeux sportifs en Egypte au Temps des Mamluks, *Annales Islamalogique*, XII, 1974, p. 107.

(٤) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة رقم ١٥٠٤٣، راجع:

Izzi Wafiyyah, An Ayyubid Basin of al-Salih Najam al-Din, Studies in Islamic Art and Architecture in Honour of Professor, K.A.C., Creswell, 1965, pp. 253-259.

(٥) محفوظ بمتحف الفرير جاليرى بواشنطن.، راجع:

Atil E., and Others, Islamic Metalwork in the Freer Gallery of Art, Washington, 1985, p. 137.

بالزخارف التى تزينه من الداخل والخارج ، التى تمتاز بتباينها واختلاف طبيعتها فمنها الكتابات النسخية والكوفية ،ومنها الزخارف النباتية الدقيقة الأرابيسك التى تنتهى الفروع فيها برؤوس آدمية وحيوانية، ومنها الحيوانات المتتابعة ومنها مناظر للعبة البولو ،وكذلك تشتمل على مناظر مستمدة من الدين المسيحى أهمها منظر البشارة ، ومنظر السيد المسيح الطفل والسيدة العذراء ومنظر دخول السيد المسيح مدينة اورشليم ،ومنظر العشاء الربانى. ومن المعروف أن معظم التحف ذات المناظر المسيحية كانت تصنع خصيصا لكى يقتنيها مسيحو الغرب وحجاج بيت المقدس الذين كانوا يحضرون لزيارة الأماكن المقدسة وربما مر بعضهم بمصر فى طريقهم اليها بالإضافة إلى حاجة الأسواق الأوربية إلى هذا النوع من التحف(١).

أما الطست الثالث يحمل من بين زخارفه المختلفة أسماء وألقاب الملك الصالح نجم الدين أيوب(٢).

ومن جهة أخرى اعتمدت صناعة التحف المعدنية فى بلاد الشام على ثروات طبيعية من المعادن قلما وجدت فى بلد إسلامى اخر فقد وجدت فى مناطق كثيرة ببلاد الشام ولاسيما فى منطقة الخليل وحول البحرالميت وحلب على شكل مخروطى عرف باسم نهر الذهب. كما وجد النحاس فى ناحية صور، والزئبق

---

(١) من المعروف أن العلاقات التجارية بين الشرق والغرب وجدت قبل الحروب الصليبية بزمن طويل، ولكن الغزو الصليبى لبلاد الشام أثر فيها بشكل خاص، إذ صارت تجارة البحر المتوسط كلها بوجه التقريب ـ فى أيدى الجمهوريات البحرية الإيطالية ومدن جنوب فرنسا، وفى خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين كانت مدن وموانىء الشام مراكز لتجمع السلع. وكان من الطرق التجارية البرية المؤدية إلى الشام زمن الحروب الصليبية طريق الشام ـ مصر، حيث يتجه ذلك الطريق من دمشق إلى طبرية ثم إلى الرملة ومن الرملة إلى غزة ثم إلى العريش ثم إلى الفرما ثم إلى القاهرة. راجع: القلقشندى، صبح الأعشى، ج٧، ص ١١٥-١١٦، زكى حسن، فنون الإسلام، ص ٥٥٠، حسن الباشا، تاريخ الفن فى عصر النهضة، دار النهضة العربية، ١٩٨٠م، ٣٢-٣٣.، محمد محمد الحويرى، الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر من الميلاد، دار المعارف، ١٩٧٩م، ص ١٢٢-١٢٨، عائشة عبدالعزيز تهامى، أثر الحروب الصليبية فى زخرفة المعادن فى العصر الأيوبى، ندوة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٤٨٩.

(٢) محفوظ فى Museum of the University of Michigan : راجع:

Graber O., Two Pieces of Islamic Metalwork at the University of Michigan, Ars *Orientales*, Vol. IV, 1961, pp. 360-366.

والرصاص فى أرض انطاكية والمعرة وفى جهات من حلب، وعمان، وعكاز، وطرابلس [١].

وقد اشتهرت صناعة التحف المعدنية المصنوعة من النحاس الاصفر أو الاحمر أو البرونز المكفت بالذهب والفضة فى القرن السادس والسابع الهجرى / الثانى عشر والثالث عشر الميلادى وزخرت بها الاسواق السورية والتى كان يصنع منها للمشترى الصليبى بصفة خاصة ويفسر ذلك ان الكثير من التحف المعدنية من صناعة الشام تحتوى على مناظر تصويرية من الدين المسيحى [٢].

والمعروف ان كثير من ارباب الصناعات المعدنية هاجروا من الموصل إلى الشام ومصر فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى تحت تأثير عدم الاستقرار الذى ساد بلاد المشرق الإسلامى وقد اشتغل هؤلاء الفنانون لحساب الأمراء الأيوبيين فى دمشق وحلب وهناك العديد من التحف المعدنية الأيوبية التى صنعت ببلاد الشام والتى تحمل العديد من اسماء وألقاب سلاطين بنى أيوب فى دمشق وحلب مثل الملك الاشرف موسى [٣]، والملك العزيز محمد [٤] وغيرهم من الملوك وهذا ما سنوضحه خلال الصفحات القادمة.

كما يمكن القول ان التجارة كانت من أهم دعائم الثروة والمال فى مدن الشام لاسباب عدة اولها موقع البلاد الجغرافى اذ هى تتوسط دول العالم الإسلامى وكذا فهى تقع بين الشرق والغرب كما انها تقع عند نهاية الطريق البرى لتجارة الشرق الاقصى منذ اقدم العصور . وعن التجارة بين مصر والشام فقد نشطت فى

---

(١) راجع: ناصر خسرو، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٣، ص ٦٠-٦٥، كرد على، خطط الشام، ج ٤، دمشق، ١٩٢٦، ص ١٨١.

(٢) زكى حسن، فنون الإسلام، ص ٥٤٩-٥٥٠.

(٣) الملك الأشرف موسى حكم من ديار بكر ودمشق فى سنة ٦٠٨-٦٢٨هـ/ ١٢١٠--١٢٣٠م. راجع: ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص ٢٣٧-٢٧٠.

(٤) هو الملك العزيز غياث الدين محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب فى سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م انفرد العزيز صاحب حلب بالملك وتسلم الخزائن من أتابكه شهاب الدين طغرل، وتوفى الملك العزيز محمد. راجع: ابن العديم، زبدة الحلب فى تاريخ حلب، المعهد الفرنسى بدمشق، بدون تاريخ، ج ٣، ص ٦٤.